تحديات تمر بالأمة الإسلامية

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين ، وإمام المتقين ، وقائد الغرِّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً .....

أما بعد أيها المسلمون: إن هذه الأمة الإسلامية تمر بويلات ونكبات وتحديات ، وذلك لسببين :

الأول: سُنَّة الله في خلق الإنسان ، فهو الذي خلق التضاد ، الخير والشر ، والليل والنهار ، والهدى والضلال ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨- ١١٩] ولذلك قال سبحانه وتعالى : ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت : ١-٣] .

ثانياً: أمتنا الإسلامية متحداة ، لأنها كوّنت جيلاً فريداً من الحضارة لا يُتَصَورْ ، قيل لرجلٍ من العرب داهية ، فلانٌ يسبُّكَ وينتقصكَ ويشتمكَ أمام الناس ، قال: وَهل يشتم إلّا العظماء ، ثم قال بيتين من الشعر لطيفين

جميعين:

ولـــو أني بـليـت بهـاشـمـيٍّ ∴ خَـؤُلَـتُـه بـنـو عـبـد المـدان
لهـــان عـلـى مـا ألـقـى ولكن ∴ تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

يقول: أنا من عظمتي دائماً أُتَحَدَّى ، وكذلك الأمة من عظمتها دائماً يَتَحَدّاهَا أعداؤها ويحسدونها ، ولذلك لا يُحْسَدُ السافل والأراذل، والذين لا قيمة لهم ولا وزن ، إنما يُحْسَدُ الداهية والعبقري ، ولذلك انظروا إلى أعظم رجل في التاريخ ، هو محمد عليه الصلاة والسلام ، يضعه مايكل هرز الأمريكي في القائمة الأولى ، في كتابه « الأوائل » ويقول: أنا أعرف أن وضعي لمحمد في المركز الأول يجرح شعور الشعب الأمريكي، ولكنها الحقيقة رغم أنفك يا هرز ، وأنوف الأمريكان جميعاً ، فإن محمداً -عليه الصلاة والسلام - عظيم على مستوى العالم ، إن البرية يوم مبعث أحمد ، نظر الإله لها فبدّل حالها ، بل كرّم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها ، لبسَ المرقعَ وهو قائد أمة ، جبت الكنوز فكسّرت أغلالها، محمد ﷺ ، أميٌّ ما قرأ ولا كتب ، ولا تعلم في مدرسة ولا جامعة، لكنه فتح الدنيا بلا إله إلّا الله ، أقرَّ بذلك حسّاد العالم وأعداء الإنسان، بأنه الأول عليهم جميعاً ، فهل عَلِمْتَ صادقاً كمحمد -عليه الصلاة والسلام - وهل عَلِمْتَ مصلحاً كرسولنا عليه الصلاة والسلام؟ والله ما زالوا به ، حتى أشاعوا في العالمين أنه: كذاب ، وساحر ، وكاهن، ومجنونٌ، وفي الحديث الصحيح ، أن الطفيل بن عمرو الدوسي قدم مكة ، فسمع بالرسول ﷺ، سَارَ خبره في الركبان ، سَارَ حديثاً بين الناس ، فأتى على جَمَلِه وكفار مكة، يقولون له: احذر محمداً ، فإنه ساحر ، شاعر ، كاهن ، كذاب ، فما زالوا

به حتى وضع القطن في أذنيه خوفاً أن يسحره ، فلمّا دخل الحَرمَ ، ورأى وجه المصطفى ﷺ عَرَفَ أن وجهه ليس بوجه كذاب ، فنزع القطن من أذنه واستمع الآيات البينات ، التي كما يقول سيد قطب رحمه الله: تأخذ على النفس أقطارها ، القرآن: لا يدعك تهرب ، هو حقيقة يفرض نفسه في العالمين .

أحد المسلمين ، ذهب يدرس الشيوعية في أوزبيكان ، إحدى الولايات الروسية سابقاً ، فدخل مسجداً هناك ، فقرأ في المصحف سورة (ق) ، فانهلّت عليه سورة (ق) فملئت صدره إيماناً، فوجد جمعاً كبيراً من المسلمين يعودون إلى الله ، فكتب رسالة صارخة يقول فيها: بعد سنوات، سوف يفرض الإسلام نفسه على أنف روسيا ، وهذا هو الذي حصل بالفعل ، ممّا جعل روسيا تشن حرباً شعواء في تلك الولايات الإسلامية التي منها الشيشان إذاً الأمة اليوم تمرُّ بتحديات ، والرسول ﷺ في الغربة الأولى ، مرَّ بتحديات ، لكن موكبه عليه الصلاةُ والسلام ، مرَّ بسلام ، وسلَّم الخلافة لأبي بكر رضي الله عنه ، ومضى أبو بكر في خلافة سامقة راشدة عادلة ، وتولى عمر رضي الله عنه الخلافة من بعده ، وكان يخشى على نفسه من هذه التحديات، فقال للصحابة رضي الله عنهم كما في صحيح البخاري: هل سمع أحدٌ منكم قول الرسول ﷺ في الفتنة ، قال حذيفة رضي الله عنه : أنا يا أمير المؤمنين ، سمعته يقول:(فتنة الرجل في أهله وماله، تكفره الصلاة والصوم والصدقة) قال عمر رضي الله عنه : لست عن هذا أسألك ، أسئلك عن الفتنة التي تموج كموج البحر، قال: يا أمير المؤمنين دونك ودونها بابٌ ، والباب: هو عمر) قال عمر: أيُفْتَحُ الباب أم يكسر، يعني: هل يموت أو يقتل ، قال: بل يكسر، فقال عمر : فوالله أحرى أن لا يغلق أبداً ، يقول حافظ إبراهيم:

قل للملوك تنحو عن مناصبكم ∴ فقد أتى آخذ الدنيا ومعطيها
حسبي وحسب القوافي حين أهديها ∴ أني إلى ساحة الفاروق أرويها
يا رب هب لي بياناً أستعين به ∴ على حقوق العلى قد نام راعيها
قد كنت أعداء أعاديها فصرت لها ∴ بفضل ربك حصناً من أعاديها

فذهب إلى الله الفاروق رضي الله عنه، واغْتيل عثمان وعلي رضي الله عنهما ولكن الإسلام يمدّ رواقه، فيصل إلى أسبانيا وطاشكند، وكلمبور، ويذهب التجار إلى أندونوسيا وجاكرتا، فيرون أخلاقهم وصدقهم في تجارتهم، فيسلمون. ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة: ٣٢] أتى التتار، وما أدراك ما التتار، واجتاحوا العالم الإسلامي، دمّروا الكتب، وقتلوا الشيوخ، ولكن: هل قتلوا الإسلام؟ ثم أتى من بعدهم الصليبيون، وقتلوا من قتلوا من المسلمين، واستحلوا فلسطين ما يقارب تسعين عاماً، حتى جعلوا المسجد الأقصى، إسطبلاً لخيولهم، ولكن: هل استطاعوا أن يقضوا على الإسلام؟ كلا، لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً من ذلك، يقول شيخ الأستانة، عالم عثماني مسلم: الإسلام يمرض ولكن لا يموت. تصيبه الحمى، يأتيه زكام، لكنه لا يموت أبداً.

كذلك الأمة متحداة:

١-في رسولها محمد ﷺ: أحد الأوثان الأصنام، سفيه معتوه يأتي من إفريقا ويقول: محمد بدوي لا يعرف علم الاجتماع، ولا علم النفس، ولا علم التربية ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

[الكهف:٥] فماذا فعل هذا المنافق، وماذا فعل غيره، محمد عليه الصلاة والسلام هو الذي أنقذ أجداده من الظلمات إلى النور، وهو الذي سيّر جده عقبة بن نافع إلى شمال أفريقا، ليقف على الأطلنطي ويقول: يا ماء، والله لو أعلم أن وراءك أرض، لخضت بفرسي هذا الماء، لأرفع لا إله إلّا الله، محمد -عليه الصلاة والسلام- أتى بالرسالة الخالدة، وأعلن حقوق الإنسان في عرفات، وأقرّ مبادئ العدل والمساواة بين المسلمين، حيث قال: (لا فضل لعربي على عجم إلّا بالتقوى) بلال مع أبي بكر، وصهيب مع عمر، وسلمان مع عثمان، كلهم أخوة متحابين:

إن يختلف ماء الوصال .·. فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد

أو يختلف نسب يؤلف بيننا .·. دين أقمناه مقام الوالد

ثانياً: الأمة متحدة في دينها وفي شريعتها: فهم يقولون أن الشريعة الإسلامية لا تواكب العصر، ولا تلبي حاجة الإنسان، وأنها سبب التأخر في العالم، وأن الدين لم يجعل الناس يتطورون، بينما غيرنا من الكفار وصلوا إلى القمر، وصنعوا الطائرة والصاروخ، والدين حبسنا عن ذلك كله، عجيب لهؤلاء المذبذبين في دينهم، المغتربين بأفكارهم وعقولهم، أساطين الكفر الآن يسلمون، وهم من أشهر المخترعين، فقد وُجد منهم من أسلم وهو يصنع الذرة، ويصلي في اليوم خمس مرات، ومنهم من أسلم وهو على سطح القمر، ولذلك نقول لهؤلاء المذبذبين: أنتم الآن تخلّيتم عن دينكم، وكفرتم بالله وبشرعه، وغسلتم أدمغتكم عن نور الهداية، ومع ذلك لم تقدموا لنا شيئاً، فهل صنعتم لنا كما صنع غيركم من الخواجة، وهل قدمتم لنا الصاروخ والطائرة، كلا، والله ما رأيناهم قدّموا لنا شيئاً، ولا

حتى الطباشير، إنما أتوا لنا بالباروكة والخنفسة والزحلقة وراء الغرب.

منهم أخذنا العود والسجاره ∴ وما عرفنا صُنع السيارة

كذلك من التحديات:

٣-المرأة المسلمة: فهي متحداةٌ في دينها وفي حجابها، وفي شرفها وكرامتها، فهم يقولون: الإسلام هضم المرأة حقها، وأحرمها حريتها، وسلبها إرادتها، ونحن نقول لهم: بالعقل لا بالنقل، سَلُوا المرأة في الصين، وفي الديانة البوذية، وعند الهندوس، وسلوها أين كانت في مذكرات استالين ولينين، وما هو موقفها في الحرب العالمية الثانية، حيث زُجَّ بها تحملِ البندقية وصاروخة، وتركب طائرة، فأضحكت العالم بهذا الهراء، إذا ليس هناك هضم لها في الإسلام، فالإسلام أعطى المرأة حقها، أتى إلى المرأة وهي في الجاهلية لا تعطى نصيباً ولا ميراثاً ولا يُسمع رأيها، بل تُقتل وهي طفلة ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩﴾ فلما أتى محمد عليه الصلاة والسلام، أتى بكتاب يقول فيه ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أتى -عليه الصلاة والسلام- وقال يوم عرفة: (الله، الله في النساء، وما ملكت أيمانكم، إنهنّ عوان عندكم) ثم أبدى حقوقها، وعلّمَهَا كيف تربي أطفالها:

الأم مدرسة إذا أعددتها ∴ أعددت شعباً طيب الأعراق

كذلك الأمة مُتحداة:

٤-في شبابها وفي جيلها: فهم يسعون إلى إغراقه في الشهوات والملذات، حتى يصبح الواحد منهم عبدُ كأس وغانية، الآن ملايين الشباب من

المسلمين يتعرضون لغسيل أمخاخ ، فلا تراهم إلّا مغنين أو مطبلين ، أو سكارى مخدرين ، ومكرفتين مائعين ، انزلق أحدهم من على المسرح ، فوقع على رأسه حتى خرج نخاعه فمات ، فقالوا شهيد الفن ، فيا سبحان الله ، يا لها من شهادة ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] هؤلاء الشهداء كما يسمونهم ، يموتون على المسرح ، وفي أحضان المومسات ، أمّا حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب يموتون في أرض المعركة من أجل لا إله إلّا الله ، شبابنا اليوم في الحارات والبارات وأماكن القمار ، وشباب محمد عليه الصلاة والسلام:

عباد ليل إذا جنّى الظلام بهم ∴ وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم
يا رب فابعث لنا من مثلهم نفراً ∴ يشيدون لنا مجداً أضعناه

فيا أيها الشاب: أنت ابن من؟ أنت ابن خالد وسعد رضي الله عنهما ، وعمار وصلاح الدين ، ونجم الدين محمود وقطز ، أنت ابن الرجال الذين فتحوا الدنيا بلا إله إلّا الله ، فلماذا تتميّعْ وتتشبه بالنساء:

تغني بك الدنيا كأنك طارق ∴ رفيق صلاح الدين هل لك عودة
فإن جيوش الروم في الأقصى تنهى وتأمر ∴ أما لك عودة بعد هذا وعزة

يخبرنا أحد الدعاة الثقات ، أن شاباً سافر من الجزيرة العربية ، جزيرة التوحيد ، إلى بريطانيا ليدرس هناك ، فأُدخلَ على أسرة بريطانية ليعيش معها ، وكان يقوم لصلاة الفجر ، ويضع فراشه على الأرض ، ثم يذهب إلى صنبور الماء البارد ، فيتوضأ ويصلي ، فتقول له عجوز بريطانية: لماذا

تصلي في هذه الساعة ، وفي هذا الجو البارد؟ يقول لها: ديني يأمرني بذلك، فتقول: أخِرْهَا حتى يصحوا الجو ، فيقول لها: لو أخرتها ما قبلها الله ، فهزت رأسها تلك العجوز ، وقالت: هذه إرادة تكسّر الحديد ، فهؤلاء الشباب ، هم رصيدنا ورصيد الإسلام ، الذين يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويحفظون القرآن ، ويقدمون أرواحهم رخيصة في سبيل الله ، هؤلاء الشباب ، أهل هداية واستقامة ، وأهل مسجد ومصحف ، هؤلاء الشباب ، أبداً لم يكونوا مسؤلين عن زعزعة الأمن ، ولا عن شرب الخمور والمخدرات ، ولا عن أشرطة الجنس والغزل ، لأنهم يريدون الخير للبلاد والعباد ، ولهذا فأعداء الإسلام يعملون على تخويف الرأي العام من هؤلاء الشباب الخيرين من هذه الأمة ، وإلصاق التهم الشنيعة بهم ، زعيمة ذلك إسرائيل، ومن ورائها الإذاعات العربية والغربية ، والقنوات الفضائية التي تصف هؤلاء الشباب بأنهم متطرفون، وأنهم إرهابيون ومتزمتون ، وتخوف الآباء والأمهات ، على أولادهم من الدين ، وأنه سبب التطرف والتخلف والتزمت، فيأتي بعض الآباء الطيبين ويصدقون مثل هذه الأكاذيب ، فإذا رأى ولَده التزم بالإسلام ، واتجه نحو المسجد وأطلق لحيته ، قال: كان ولدي مهتدي ، وكان ولدي طيب ، فلما هداه الله ، واتجه إلى المسجد ، أصبح متزمتاً متطرفاً ، فبالله عليكم ، ما هذه النظرة الخاطئة، لما كان الولد مع السهرات الليلية ، ومع القنوات الهابطة والأغنية الماجنة كان في نظرهم مهتدي وولد صالح ، وهذا في الحقيقة إن دلّ على شيء ، إنما يدل على مدى بعد الناس عن دينهم واستجابتهم لأعداء الإسلام من العلمانيين والمنافقين ، كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله: (قبل الساعة سنوات خدَّاعة ، يُكذب فيها الصادق ، ويُصدق فيها الكاذب ، ويُؤتمن فيها الخائن، ويُخون

فيها الأمين ، وينطق فيها الرويبضه ، قالوا: وما الرويبضة يا رسول الله ، قال: السفيه يتكلم في أمر العامة) وهذا ما نشاهده اليوم ، يخوفون الرأي العام من الالتزام بالدين ، ويخوفونهم من شباب الصحوة ، الذين هم وقودها وطليعتها الأولى ، كأمثال السيد قطب ، وأبو الأعلى المودودي ، يقولون لسيد قطب ، في الساعات الأخيرة من حياته: أكتب مذكرة اعتراف ، قال: ماذا أعترف؟ أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقيل له: أكتب إدانة على نفسك وتخلي سبيلك ، قال: أبداً ، أصبعي التي شهدت بالوحدانية ، كل يوم خمس مرات ، تأبى أن تكتب زوراً ، ثم قال له أحد الناس ، وهو على المشنقة: يا سيد ، قل لا إله إلّا الله ، فقال: عجباً لك ، وهل أقتل إلّا من أجل لا إله إلّا الله ، فيحييه شاعر مسلم عظيم ، يقول :

يا شهيداً رفع الله به ∴ جبهة الحق على طول المدى
سوف تبقى في الحنايا رمزاً للفدى ∴ علماً قائداً في وجه الردى

كذلك الأمة متحداة:

٥-في أخلاقها وفي أدبها وتراثها وتاريخها: يأتي إلينا طه حسين الأديب العربي الذي تربى على موائد الغربيين ، ويقول : إن معركة بدر لم تكن من أجل لا إله إلّا الله ، وإنما كانت: إحَنَاً وحزازات شخصية ، بين قريش والأوس والخزرج ، فيا سبحان الله ، معركة بدر التي فرّق الله بها بين الحق والباطل، لم تكن بين لا إله إلّا الله وبين الذين كفروا وعبدوا الأصنام بين إسلام، وكفر وشرك وتوحيد﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَـٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأنعام :٥٥] ، يأتي هذا المجرم ويتنكّرْ للأدب العربي، ويقول: أبو نواس ليس بأديب ، عجيبٌ لهؤلاء ، المتنبي ليس بأديب ، الذي يقول عنه أحد

الأدباء المعاصرين: على نقّاد الأدب، أن يحللوا أبيات المتنبئ تحليلاً كيمائياً ليعرفوا سرّ البلاغة والفصاحة العربية، أبو نواس الذي يقول رغم ما قيل فيه:

تأمل في نبات الأرض وانظر ∴ إلى آثار ما صنع المليك
عينٌ من لجينٍ شاخصات بأحداق ∴ هي الذهب السبيك
على كثب الزبردج شاهدات ∴ بأن الله ليس له شريك

هذا هو الأدب، وهذه هي البلاغة، ولكن انظروا إلى أدبهم اليوم، وهم يقولون ويفتخرون به: أنام على الرصيف، أطير في الهواء، أنزل في الماء، أغوص في الإناء، أخرجوا لنا هذه الأبيات ﴿ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [الأنعام:١٤٣] ما هي البلاغة في هذه الأبيات، في عين شوكة، في عين ليمونة، والله الذي لا إله إلّا هو، إن هذه المقطوعات، لتضحك الأطفال قبل الكبار، أأدب هذا؟ أين هم من قول أبي تمام:

السيف أصدق أنبائي من الكتب ∴ في حدّه الحدُّ بين الجد واللعب
فتح الفتوح تعالى إن يحط به ∴ نظم من الشعر أو نثر من الخطب

وأين هم من شوقي، الذي كان يخاطب الأمة، فَسُمِيَ: شوقي أمير الشعراء، لأن الشعب المصري كان يفهم ماذا يقول شوقي، كان يخاطب الأمة، لا يخاطب نفسه، فيقول في ميلاد المصطفى عليه الصلاة والسلام:

أسرى بك الله ليلاً إذْ ملائكة ∴ والرسل في المسجد الأقصى على قدمِ

فبكى الناس ، دخل شوقي -رحمه الله- إلى دمشق يعزي الشعب السوري، وقد هُدمتْ دمشق ، بمدافع فرنسا فاستقبلوه في المطار ، فخرج إليهم بقصيدة ، يقول فيها:

سـلام مـن صبا بـردا أرقّـو ∴ ودمـع لا يكفكف يا دمشق

فهذا هو الإبداع ، وهذا هو الأدب ، الذي ننشده وتنشده الأمة.

OBEIKAN.COM